

الوساطة الثقافية وصناعة الفضاء العمومي: تحول براديجمي وممارسات ثقافية Cultural mediation and the public space: Bradigme's transformation and cultural practices

إيهاب الأخضر¹، لطيفة بن حسن²

¹ دكتورا، المعهد العالي للتنشيط الشبابي والثقافي، lak.iheb88@gmail.com

² ماجستير بحث، المعهد العالي للتنشيط الشبابي والثقافي، benhalatifa2022@gmail.com

الاستلام: 04-07-2023 القبول: 01-10-2023

ملخص:

تمتد مهمة الوساطة الثقافية إلى تزويد المجتمع بالمعارف والقيم الرمزية، وبناء الرأي العام وتشكيل وعي الجمهور، ونقل المعارف على نطاقات اجتماعية أوسع. تتعلق الوساطة الثقافية بالعديد من المجالات حيث يرتبط دور الوسيط الثقافي بعدد المجالات وخاصة في علاقة بدار الثقافة، فهي كممارسة اتصالية تساهم في تنمية الوعي ونشر الثقافة خاصة مع تزامن نفور الجمهور من المرافق الثقافية، من خلال هذه الورقة البحثية سنحاول إبراز أهمية الوساطة الثقافية ودورها في تعزيز الثقافة في المجتمع.

كلمات مفتاحية: الثقافة، الوساطة الثقافية، الممارسات الثقافية.

تصنيفات JEL : D71، Z0، Z13

Abstract:

The role of cultural mediation also includes conveying knowledge on broader social scales, supplying society with knowledge and symbolic values. The role of the cultural mediator is connected to many different sectors, notably those that pertain to the House of Culture. Particularly in cultures that have grown conscious of the public's dissatisfaction with cultural amenities, cultural mediation contributes as a communication practice to the development of awareness and the diffusion of culture. We hope to emphasize the significance of cultural mediation and its contribution to fostering culture in society through this study work.

Keywords: Culture; cultural mediation; cultural practices.

JEL Classification Codes: D71, Z0, Z13

المؤلف المراسل: إيهاب الأخضر، الإيميل: lak.iheb88@gmail.com

1. مقدمة:

يعتبر مفهوم الوساطة من المفاهيم الحديثة الواردة في مهنة المنشط، والتي ارتبطت بهذا التصور الجديد القائم على علاقتها بالفضاء العمومي، فما يحمله المفهوم في طياته من خصائص ومبادئ تراعي حقوق الإنسان والمواطن ومقاربة تنمية القدرات البشرية، تستدعي عملية وسائطية تساهم من خلالها في بناء هذا التصور وجعل هذه الفضاءات أكثر حيوية وديمقراطية. يشكل مفهوم الوساطة الثقافية براديجم المجتمع الحديث، ومحور الدراسات الفلسفية والعلوم السياسية والعلوم الاجتماعية لبناء وتصور المجتمع الحديث، حيث تسمح خصائصه التي تركز على الديمقراطية، وتعزيز الاندماج والتماسك الثقافي بالقبالية لتفسير وتأويل المفهوم، وعليه فإن الحاجة إلى إدراج مفهوم الوساطة الثقافية في أسس وقواعد المنشط ودور الثقافة تحكمه مجموعة من السياقات التي تهدف إلى إرساء أسس علمية متينة لتصور هذه الفضاءات، وذلك لتبسيط التعقيد الذي يصاحب هذه المؤسسات وتحسين الصورة التي ارتبطت بها، وتحديد أبعادها ونطاق عملها التي تسمح ببناء قاعدة موحدة يركز عليها جميع المهنيين في عملهم، وعليه فإن هذه الورقة البحثية حاولت رصد وتحديد ماهية مفهوم الوساطة الثقافية في علاقة بالمنشط من جهة و دار الثقافة من جهة أخرى وتحديد أنواع الممارسات الثقافية وقد اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الاستنباطي الذي ينطلق من العام إلى الخاص، إن الغاية من توظيف المنهج الاستنباطي في هذه الدراسة هو توجيه بحثنا في سياق أهدافه المسطرة، حيث يسمح لنا هذا المنهج بتوظيف مجموعة من المقاربات والنظريات المرجعية، والمفاهيم الحديثة التي تسمح بهيكلتنا عملنا.

2. الوساطة: الدال والمدلول

إن محاولة تحديد ملامح مفهوم الوساطة هي مهمة صعبة، حيث يعتبر من المفاهيم الغامضة التي تعرضت للاختلافات المعرفية بين المفكرين في مختلف الميادين، حيث ارتبط استخدامه في البداية بالحقل السوسيو-سياسي، ليصبح بعدها أداة للتفكير في العلوم الاجتماعية والإنسانية، كظاهرة تسمح بفهم توزيع الأشكال اللغوية أو الرمزية، في المكان والزمان، لإنتاج معنى مشترك في مجتمع ما؛ وعليه نجد في علوم المعلومات والاتصال مجموعة من المقاربات لمنظرين بارزين تحدثوا عن الوساطة بالمفهوم العام أمثال "Lamizet Bernar"، "Jean le marec"، "Yves Jeanneret"، لتستعمل في المجال الخاص مثل ميدان التربية والتعليم الذي عرفت ممارسات هذا المفهوم من طرف "Liquète Vincent"، والوساطة الثقافية التي استعملت في المتاحف من طرف "Davallon Jean" (عبد الغاني، 2002، ص100).

يتميز مفهوم الوساطة بالمرونة ويتخذ أشكال وممارسات حسب المجال والسياق العام للممارس فيه هذا المفهوم، وقد أكد "**Olivier Chourrot**" على أن للمصطلح مفهوم عام وشامل، ومفهوم خاص يحكمه القانون والعرف، كما ينبه "**Jean Caune**" على مسألة الاستخدام العشوائي لمفهوم الوساطة، ولذلك يلزم ضبط المصطلح كما ورد في المفهوم العام، ثم كيف تم استخدامه في علاقة بالتنشيط ودور الثقافة (حسن عبد الحميد، 2006، ص125).

1.2 مفهوم عام للوساطة:

ورد في تعريف ومعنى "الوساطة" أنه محاولة فض نزاع قائم بين فريقين أو أكثر عن طريق الحوار، عرض وساطته بين متخاصمين فمفهوم الوساطة يراد به جميع التدخلات التي تعمل على تحقيق التوافق وحل النزاعات. كما عرفت الوساطة هي جميع المبادرات المتخذة من أجل المصالحة والتوفيق بين الناس، أو الأطراف المتنازعة، فالوساطة مفهوم يعمل على تأسيس العلاقات بين عدة أشخاص أو بين الأشخاص والأفكار والمواضيع (عبد الفتاح السيد البتانوني، 2012، ص 88).

ارتبط هذا المفهوم العام بالبعد السياسي، كما شاع استخدامه في المجال القانوني، ولذلك يرد مفهوم الوساطة في قلب العديد من المبادرات التي تقوم بها السلطات العمومية عند إدراك وجود أزمات فالوساطة بمفهومها العام تهدف لتحقيق التوازن وحل النزاع بالطرق السلمية من خلال طرف ثالث يكون محايداً.

فالوساطة بالمفهوم العام باعتبارها مجموعة من النشاطات والفاعلين، والأماكن والأزمنة، يشير هذا المفهوم إلى الممارسات التي يتخذها الفاعلين باستخدام مجموعة من الوسائل والأدوات حسب الزمان والمكان، لتفعيل العلاقة بين طرفين إما بين شخصين، أو شخص ومعلومة...، وبالتالي فإن الوساطة تعمل على تنظيم العلاقات الإنسانية (الرشدان، 2019، ص 102).

كما يقدم "**Michelle Gallereau**" مفهومًا للوساطة من خلال الوظائف الأساسية التي تتمثل في لتنظيم والتفاوض بالاعتماد على طرف ثالث وسيط لسد الفجوات وربط العلاقات بين طرفين طرأ عليهما تغيير، أدى إلى التصدع في العلاقات وفي عملية الاتصال. ويضيف "**J. Davallon**" على أن وظائف الوساطة لا تتمثل في تحقيق الترابط بين الأطراف فقط، وإنما تعبر عن وجود تمزق في العملية الاتصالية من خلال التغييرات التي تطرأ، فالوساطة تقوم بتشخيص ووصف وشرح هذا التحول (Davallon, 2002, p42).

بالإضافة إلى الاستخدام السياسي والقانوني لمفهوم الوساطة، نجد استخدامه في علم الاجتماع كما ورد في " **le dictionnaire des concepts clés l'ouvrage** " **Pedagogie** " على أن مصطلح الوساطة هو كل المساعدات والدعم الذي يقدمه شخص لشخص آخر من أجل تسهيل الحصول على المعرفة (**Hennion, 1993, p66**). حيث يؤكد هذا التعريف على عملية الاتصال في تحويل وتمرير المعارف، وبهذا فإن الوساطة تمثل عامل أساسي في التطور المعرفي للأفراد حيث تحتل مكانة هامة في التعليم، وقد استخدم الفرنسيون مصطلح " **La mediation** " للتعبير عن فكرة "نقل المعارف"، أما المجتمعات الأنجلوساكسونية فقد استخدموا مصطلح " **Information Literacy** ".

إن الأساس في مفهوم الوساطة هو إقامة حوار، وخلق نسيج من الروابط، وهي عملية تجري في الحالات سواء بين الأصدقاء والزملاء، أو الجيران...، وعليه نجد عند توظيف هذا المفهوم في مجال ما، فإنه يقترن بهذا المجال للدلالة عليه كـ "الوساطة القضائية الوساطة الجنائية..."، وكذلك لتحديد أبعاده والمبادئ التي تحدد ممارساته، فإذا كان استخدام المفهوم في المجال السوسيو-سياسي يفضي إلى حل النزاعات، فإن استخدامه في الثقافة والمؤسسات الثقافية يأخذ معنى آخر، يصطلح عليه بـ "الوساطة الثقافية"، والتي تتمثل في مجموع المهارات والوظائف التي ارتبطت بالمتاحف، المطالعة العمومية التراث الفن الحديث وخصوصا دور الثقافة... والذي يراد به التقريب بين الثقافة والفاعلين، أو الثقافة ومؤسساتها والجمهور؛ أو رفع الأزمة المتعلقة بتدني الأوضاع الثقافية، وتقريب هذه المؤسسات من الجمهور، يقول " **Bernard Lamizet** " أن الثقافة تمنح من خلال الوساطة (**Bernard, 1999, p9**).

2.2 مفهوم الوساطة الثقافية

أدخل بشكل الإهمال الاجتماعي للمؤسسات الثقافية إثر التحول والتطور الذي يطرأ في الممارسات الثقافية، الاجتماعية والاقتصادية التي ارتبطت بالتكنولوجيا الحاجة للبحث عن الصلة لخلق الحوار بين هذه الأطراف، تركز على طرف ثالث تكون مهمته ضمان وصول أكبر عدد من الجمهور للثقافة المادية والفكرية والاجتماعية. إن القوة الحقيقية للدول في المجتمع الحديث تظهر جليا من خلال المجال الثقافي، وللتأكيد على ذلك فقد انتهجت الدول الأوروبية منذ سنة (1946) سياسة تبلورت عنها سن ديباجة دستورية في أوروبا تنص على أن "الأمة تكفل للأطفال

والكبار المساواة في الحصول على التعليم والتدريب المهني والثقافة"، كما ورد في شروط الانضمام للاتحاد الأوروبي بمعاهدة "Maastricht" أنه لا بد من "المساهمة في جودة التعليم والتدريب وازدهار ثقافات الدول الأعضاء"، كما تصرح اليونسكو على أن الثقافة تعتبر ركيزة رابعة للتنمية المستدامة (Jean, 2000, p9).

ولذلك تسعى الدول الأوروبية إلى إرساء قواعد الديمقراطية الثقافية، وهي نفس الإستراتيجية التي نجدها الدول الأنجلوساكسونية تحت شعار "ثقافة المساواة في الوصول" إلى الثقافة، وهو يتوافق إلى حد في مع مفهوم الحق الذي نجده في أعمال "Pierre Bourdieu".

يؤكد "Jean Davallon" على أن الوساطة الثقافية كانت وليدة للفجوة الموجودة في الثقافة، والتي ارتكزت على مجموعة من الأعمال الثقافية تعيد بناء علاقة الفن بالجمهور من خلال شرحه وتقديمه. إن الوساطة الثقافية هي في جوهرها عملية تنفيذية اجتماعية أساسية لحل الاضطراب الاجتماعي والمؤسسات الثقافية (أي وجود تمزق اجتماعي ثقافي)، بحيث تسعى لملء الفراغ، كما أنها أصبحت تمثل "براديغم الحياة الاجتماعية" في الوقت الراهن، فهي تمثل مفتاح ووسيلة لبلوغ الثقافة للسكان الذين يعانون من مشكلة الوصول والحصول عليها (Davallon, 2002, p50)، فهي بذلك تعالج أزمة العزل الاجتماعي في السياسة الديمقراطية وتلغي فكرة أو ظاهرة اقتصار عالم الثقافة على فئة النخبة، الناجمة عن الأوضاع الثقافية (فروقات التعلم، والاجتماعية والاقتصادية (الفقر)، والنفسية والجغرافية واللغوية والعرقية والفسولوجية (العجز).

كما يشير "Jean Caune" إلى أن الأساس في الوساطة هو التركيز على العلاقة، والتي تهدف إلى إصلاح الانقسامات الاجتماعية (Jean, 2012, p60) من خلال التركيز على ثلاثة وظائف أساسية هي:

1- محاربة كل أشكال إضعاف الروابط الاجتماعية؛

2- إعادة بعث الشعور بالانتماء في المجتمع؛

3- التشجيع على إنشاء معايير جديدة.

3. الوساطة الثقافية وعلاقتها بدور الثقافة

1.3 استخدامات الوساطة الثقافية:

يمكن الحديث عن مفهوم الوساطة بالمعنى الأول العام، باعتبارها عملية غير مباشرة (وسيط)، تشير إلى وجود طرف ثالث يعمل على فض النزاع وربط العلاقة

بين طرفين، غير أننا لا نتحدث عن وجود "نزاع" في مهنتنا، وإنما نستخدم مكانها "الصعوبات" التي قد يواجهها الرواد أثناء ممارسة أي نشاط، فوساطة المنشط تحد من التعقيد الذي يتعرض له الرواد، والوصول إلى المعلومة تحل هذه الأزمة إن الوساطة بهذا المعنى الأول ترتبط بدور المنشط "وسيط" بين الرواد والمحتوى، وهو ما يصطلح عليه بـ "الوساطة الوثائقية" (Tavel, 2013, p188).

بشكل آخر يمكن أن نقف عند التغيير الحاصل في الحالة التي يكون فيها كلا الطرفين؛ المستخدم يأتي مع حاجة أو طلب، والمنشط وسيط يساعد على تلبية هذه الحاجة أو توفير الطلب، والنتيجة المتحصل عليها من هذه العملية هي معلومات جديدة أو معارف جديدة، أي أن تقدم شيء جديد للمستخدم. فالحديث عن الوساطة في دور الثقافة يضعنا في جوهر العملية التعليمية؛ والذي يراد به التعليم غير الرسمي، بمعنى أنها ليست إلزامية أو مقيدة في برنامج.

كما أن الوساطة هي أن تخلق العلاقة بين الأفراد، والمنشط هو فاعل بارز في الحياة الفكرية والثقافية، من خلال مهمته المتعلقة بتحويل المعلومات والمعرفة؛ ويضيف "Bernard Lamizet" في مفهوم الوسيط هم الفاعلون الاجتماعيون الذين يعتمدون على الوساطة لإنشاء العلاقة بين الفرد والجماعة (Bernard, 1999, p12).

حيث أن الوساطة هو في جوهر مهنة المنشط، لتتطور مع بروز التكنولوجيا، والتي برز معها سعى المنشط لتجنب ومعالجة كل الأشكال التي تؤدي إلى عزوف الرواد، وهو الدور الجديد الذي يخوضه المنشطون والمرتبطة بقدرتهم على بناء علاقات قوية. وهو ما يؤكد على الدور الأساسي للمنشط الثقافي باستمرار، وكذلك الحاجة إلى فضاء دار الثقافة، فهو إضافة إلى كونه فضاء معرفي يوفر عديد الأنشطة بمختلف أنواعها، فهو فضاء لتشكيل العلاقات والتبادلات التعارف والأنس بين الأفراد، وهي كلها عناصر تحفز أذهن الرواد. أما الوجه الآخر للوساطة في تقنيات التنشيط الثقافي، فهو يرتبط بعلاقة المفهوم بالسياسة الثقافية التي تركز على دمج الأفراد الذين يعزفون عن الأنشطة، ويجدون صعوبة في الحصول على الثقافة، وهو المعنى الثاني الذي يفسر أصل الأزمة الموجودة بين الثقافة والجمهور، ويبحث في المناهج والأساليب التي تحل هذه الأزمة، وهو ما يصطلح عليه بـ "الوساطة الثقافية"، حيث يشير المصطلح إلى استراتيجيات العمل الثقافي حول واقع الالتقاء والتبادل بين المواطنين والأوساط الثقافية والفنية، وتتصف بكونها تعمل على:

. توفير الإمكانيات ووسائل المصاحبة والإبداع والتدخل لفائدة الرواد وجماهير الأوساط الثقافية؛
تحقيق هدف تعزيز كل أشكال التعبير الثقافي، وأنماط المشاركة في الحياة الثقافية "

غير أن الحديث عن الوساطة الثقافية في دور الثقافة يختلف عن باقي الممارسات في المجالات الأخرى، والتي كانت متاحف هي السبابة في استخدام هذا المفهوم والعمل به كمؤسسة ثقافية، للخروج من الأزمة التي كانت تمر بها، حيث اعتمدت الوساطة في متاحف على التوسط بين المكان المعرض والجمهور من خلال تطوير المجموعات ومرافقة الزائرين وكان ذلك في بداية سنة (1981)، كما أصدرت وزارة الثقافة الفرنسية خلال هذه المرحلة قرارا يوجب المساواة في الوصول والحصول على الثقافة للجميع، ليتطور هذا النشاط ويترجم بخلق منصب وسيط ثقافي" في سنة (1992)، بجامعة باريس بالتنسيق مع مديرية متاحف في فرنسا (Dufrêne, 2004, p100). تقطن العديد من علماء الاجتماع في مجال الثقافة والقراءة أو المطالعة إلى أزمة عزوف الرواد عن دور الثقافة، وطرحوا في حقل التنشيط الثقافي مسألة التنظير للتنشيط من خلال الأرقام، كما تدعم هذا التوجه بالتحول الذي رافق مفهوم دور الثقافة في المدينة، والتي أصبح لها أدوار أخرى بالموازاة مع النشاط الثقافي تتمثل في تحقيق الترابط الاجتماعي والتوازن الاجتماعي، الأمر الذي يتطلب إعادة بعث العلاقة بين دار الثقافة ومجموعاتها، والجمهور، والتي تهدف إلى جعل هذه الفضاءات أكثر الأماكن حيوية وإقبالا من طرف كل فئات المجتمع، وذلك بتحسين الخدمات وتسهيلها واعتمادها سياسة استقبال راقية، والاستجابة لحاجيات الجمهور، هذا بالإضافة إلى جمع مقترحات من المستخدمين لتحسين نوعية الخدمة. سمح هذا التوجه الجديد بتغيير نظرة المنشطين وممارساتهم التي كانت تدور في السابق حول استقطاب الجمهور، وهو الأمر الذي يؤكد على غياب استراتيجية معتمدة لجلب الرواد؛ فوجود هذه الفضاءات وهذه المجموعات لا يستدعي بالضرورة تردد الرواد عليها، وهو ما يشير إليه بعض الباحثين لتفسير هذه الظاهرة إلى أن وجود فجوة بين دور الثقافة والمستفيدين يرجع إلى عجز المنشطين على فهم الاحتياجات الحقيقية، وفشلهم في التوظيف الأمثل للتقنية، وجعل الوصول إلى المعلومات حقا مشاعا للجميع، وعليه فإن تبني مفهوم الوساطة الثقافية في دور الثقافة يجعل الجمهور أحد أهم مجموعات المكتبة، والتي تهدف إلى:

- تقليص المسافة السوسولوجية؛

- الذهاب إلى أقرب الاحتياجات الاجتماعية والثقافية؛

- التنوع في أنشطة دور الثقافة

إلا أن التحولات التي طرأت في نماذج دور الثقافة تستوجب إعادة النظر في الممارسات خاصة مع انتشار الأنترنت وحركة الوصول الحر إلى المعرفة والمجموعات دون الرجوع للمنشط. هذه المفارقات تجعل من الوساطة مورد جديد وفرصة لدور الثقافة لإثبات شرعيتها وقصد تطوير وتنمية مهارات جديدة تتلاءم مع الوضع الحالي لهذه الفضاءات في المجتمع. ولذلك يقوم مفهوم الوساطة الثقافية على مجموعة من المبادئ ترتبط بالتحولات الجديدة، التي تأخذ بعين الاعتبار إعلانات حقوق الإنسان ومقاربة تنمية القدرات البشرية وهو ما يجعل من الثقافة والمؤسسات الثقافية أداة للتنمية الفردية الاجتماعية والاقتصادية وعليه يمكن تحديد هذه المبادئ في:

المبدأ الأول: تقوم على معايير أخلاقية

تستنبط الوساطة الثقافية معاييرها انطلاقاً من القيم والمبادئ التي ترتبط بحقوق الإنسان، المواطنة، التنوع الثقافي، فهي عبارة عن مقاربة شاملة ذات بعد إنساني تهدف لخدمة المصلحة العامة، من خلال تعزيز المشاركة الثقافية للجميع في المدينة، والقضاء على كل أوجه الإقصاء وأشكال التجريد من الهوية الثقافية، فهي تساهم بهذا في مشروع الديمقراطية. كما تعتبر الهياكل والمشاريع الثقافية أدوات للتنمية الاجتماعية الثقافية الفردية والجماعية، الفكرية والتحسيسية، وتحرص على إتاحتها وتشجع على اكتسابها للجميع بدون تمييز (Caillet, 1994, p60).

تدمج الوساطة الثقافية بين مبادئ التنوع الثقافي والتنوع في الثقافات، وتطرح باستمرار تساؤلات حول شرعية الثقافة والمفاهيم كثقافة النخبة / الثقافة الشعبية؛ المعارف الشعبية / المعارف العلمية؛ المعرفة العملية / المعرفة النظرية الديمقراطية الثقافية / ديمقراطية الثقافة.

المبدأ الثاني: السياق والوساطة الثقافية

تعمل الوساطة الثقافية في إطار سياق عام تحدده برامج المشاريع المحلية، والتي تحكمها مجموعة من العوامل السوسولوجية، التاريخية، الاجتماعية، الثقافية، الجغرافية، السياسية، الاقتصادية؛ كذلك الأساليب الشرعية والقواعد التي تضبط المشاريع المقررة: السياسية، الثقافية والاجتماعية، الطابع المهني، والإيديولوجية؛ والتي هي في ارتباط وثيق بنوع المؤسسة المعنية وطريقة تنظيمها.

المبدأ الثالث: الاستثمار في الزمن

تأخذ الوساطة الثقافية بعين الاعتبار الجوانب والفروق الزمنية، وذلك من خلال الاعتماد على الزمن لاكتشاف الموضوع الثقافي، تحديد الوقت المناسب للمؤسسة لبناء الثقة مع الجمهور؛ وذلك في علاقة بدرجة النضج اللازم لإجراء وتصميم الأبحاث والمشاريع ذات جودة والتي من خلالها سنتم رأسملة التجارب والعلاقات مع المختصين وإمكانية وضرورة تطوير شراكات طويلة المدى.

المبدأ الرابع: تأطير المهارات والكفاءات الثقافية

تعمل الوساطة الثقافية على اكتشاف المهارات والكفاءات الثقافية للأفراد على تنوعهم، وتعتبرهم النواة لمشاريعها، باعتبارهم فاعلين للممارسات الثقافية فهي تحرص على مرافقتهم في مشاريعهم، كما تخلق الروابط بين الفرد والجماعة، من خلال التشجيع على تقاسم وتبادل الخبرات والتجارب الثقافية، والذي يضمن تفعيل مشاركتهم في الحياة العامة، والتعايش معا، وتنمية الفرد والمجتمع.

المبدأ الخامس: تعبر الوساطة الثقافية عن ديناميكية شاملة تحظى الوساطة

الثقافية بمكانة مهمة في جميع المشاريع الثقافية وهي حاضرة باستمرار في أسماها: السياسات الثقافية، المشاريع العلمية أو الثقافية للمؤسسات، تصميم المعارض والتظاهرات، فهي واردة في أصول هذه المشاريع ووظائفها، كما لا يمكن أن ترد بدون منهجية معتمدة.

المبدأ السادس: إدراج المختصين في المشروع الثقافي

ترتبط ممارسات الوساطة الثقافية بالمتخصصين في مختلف المجالات (المنشطين، الباحثين، الكتاب، الفنانين...) الذين يلمون بالمهارات ويسعون إلى تثمينها، فهي تعتبرهم مرجعية للمشروع الثقافي في الأماكن العامة، ولذلك تدعوا إلى تعزيز التعاون بين الموظفين والمتخصصين لضمان جودة المشاريع الثقافية، كما تسعى من خلال ذلك إلى ضمان علاقة مستدامة بين المؤسسة ومحيطها.

2.3 ظروف بروز الوساطة الثقافية في دور الثقافة:

أدخل ارتبط مفهوم الوساطة الثقافية بدور الثقافة إثر التحولات والتغيرات في الممارسات الثقافية والاجتماعية، والتي كانت وليدة لمجموعة من الظروف السياسية الثقافية الاجتماعية والاقتصادية مست أسس وقواعد هذه المؤسسات، وهو ما خلق الحاجة للتفكير في مفاهيم وممارسات جديدة داخل هذه المؤسسات تضمن استمراريتها وشرعيتها في السياسة العامة، وتقربها من الأوساط الاجتماعية.

تحظى الثقافة حاليا بمكانة مهمة على المستوى السياسي لكل الدول، باعتبارها محرك رئيسي للأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والبيئية للتنمية المستدامة، وهي ضمن المجالات العريضة في جدول أعمال التنمية العالمية، فالثقافة أصبحت تشكل العامل الأهم والضمانة الوحيدة في تحقيق التوازن بين النجاح الاقتصادي والتماسك الاجتماعي على المدى البعيد. ساهم هذا التطور في الحقل الثقافي وارتباطه بالتنمية الشخصية والتنمية المحلية، ثم التنمية الاقتصادية من أن يكون قطاع موازي للقطاعات الأخرى الاقتصادية والصناعية، أو حتى التجارية والخدماتية، وأصبح ضمن المشاريع السياسية المهيمنة للدول، والتي تسعى من خلالها إلى القضاء على الفقر، وتعميم التعليم، وتعزيز الابتكار الاجتماعي، والحرص على مشاركة جميع المواطنين في الثقافة لتحقيق التماسك والاندماج الاجتماعي، يقع هذا الدور على دور الثقافة باعتبارها وسيلة مهمة وشريك تنموي (Boimare, 2001, p55).

طرح هذا النقاش حول مكانة الثقافة على المستوى السياسي مفاهيم جديدة كـ "دمقرطة الثقافة" و"الديمقراطية في الثقافة"، والتي تجعل من الثقافة حقا مشاعا لكل فرد؛ تفرض هذه الوضعية إعادة النظر في المفاهيم والآليات المعتمدة في السياسات الثقافية، حيث شاع استخدام مفهوم "العمل الثقافي" ضمن المفردات المؤسسية للسياسة الثقافية، بهدف وصف المشاريع الثقافية التي تقوم بها السلطات، إلا أنها عجزت عن تحقيق أهدافها في جعل الثقافة متاحة للجميع، نتيجة للإهمال الاجتماعي للثقافة والمؤسسات الثقافية، الأمر الذي جعلها تستعير مفهوم "الوساطة"، لوصف الدور الجديد للمؤسسات الثقافية المرتبط بنشر وتوزيع الثقافة على أكبر عدد من السكان، حيث تؤكد "Rodolphe Cosimi":

«la question de l'accès à la culture est à l'origine de la notion de médiation»

على الرغم من أن مفهوم الوساطة ظل غامضا، إلا أنه استطاع أن يوضح العلاقة بين "دمقرطة الثقافة" و"الديمقراطية في الثقافة" (Cosimi, 2017, p3)، والتي يمكن تلخيصها في جلب الثقافة للأشخاص الذين لا يستطيعون الحصول عليها، التفكير في الثقافة بشكل جماعي، ومحاربة كل أشكال الإقصاء والإهمال الثقافي، وتعزيز الاندماج والتضامن (Raibaud, 2007, p68). أصبح يشكل مفهوم الوساطة أحد أهم الآليات المعتمدة في العمل الثقافي، والتي تتمثل في البرامج الموجهة للسكان الذين يجدون صعوبة في الوصول والحصول على الثقافة سواء لأسباب تعليمية

جغرافية (المناطق النائية)، واقتصادية، أو الفئات التي تعيش حالة عزوف عن الثقافة ومؤسساتها. تشكل دور الثقافة وبرامجها طرف مهم في سياسة ديمقراطية الثقافة، من خلال اعتماد برامج تسمح بخدمة الرواد المترددين عليها، وكذا استهداف فئات جديد من الجمهور الذين لا يترددون عليها، والتوجه إلى الفئات التي تجد صعوبة في التردد على دار الثقافة، بهدف بتوسيع دائرة المستفيدين والتنوع في الجمهور، وهو ما يضمن مشاركة الجميع تجسيدا لمشروع ديمقراطية الثقافة، وهو ما يجعلها تتبنى مفهوم "الوساطة".

كما ارتبطت مهمة دور الثقافة بمشروع ديمقراطية الثقافة من خلال التشجيع والتحفيز على ارتيادها في المقام الأول، باعتبارها وسيلة مهمة لنقل الثقافة وتنمية الأفراد والجماعات، وعليه تسعى من خلال سياستها إلى تقليص الفجوة بين الرواد الفعليين والرواد المحتملين، وتحسين وضعية الثقافة في الأوساط الاجتماعية، كما ساعد بروز مفهوم "الوساطة الثقافية" على معالجة الصعوبات التي تواجهها دور الثقافة في إتاحة الثقافة للجميع من خلال التشجيع على المشاركة في البرامج وبناء التصورات الشبابية.

يمكن القول بأن الأصل في استخدام مفهوم الوساطة في دور الثقافة، يعود لعدة عوامل تفرضها السياسات الثقافية التي تراعي في أعمالها ومشاريعها الجوانب التالية:

- الإهمال الاجتماعي لمعالجة القضايا الثقافية الناتجة عن أوضاع الاجتماعية والاقتصادية للأفراد؛

- اعتماد استراتيجيات العروض البعيدة والتي كانت نتيجة لعدم وجود مساحات لجماهير عريضة، واستراتيجيات الدعم القريبة؛

- غياب وضع يسمح بتموقع المنشط في القطاع الثقافي كوسيط.

4. أشكال وممارسات الوساطة في دور الثقافة

يصعب تحديد معالم مفهوم الوساطة في دور الثقافة، إلا أنها تعكس الدور الاجتماعي والسياسي لها في العمل الثقافي، وهذا ما يظهر جليا من خلال ممارسات المفهوم التي تتخذ أشكالا متعددة ترتبط بحضور المنشط، الجمهور المستهدف الفضاء (المادي أو الافتراضي)، والزمن، تهدف إلى التحفيز على الاقبال على الأنشطة والمشاركة وتشجيع الإبداع والابتكار، وخلق فضاء ديمقراطي، وعليه يمكن تصنيفها من أعمال المنشطين على النحو التالي:

1.4 الوساطة المباشرة / الوساطة الغير مباشرة:

يعتمد هذا التقسيم على حضور وسيط بشري أو غيابه، فالوساطة المباشرة تتطلب حضور المنشط، أما الوساطة الغير مباشرة فهي التي تكون عن طريق وسيط مادي أو غير مادي. وعليه يمكن أن ندرج ضمن النوع الأول للوساطة التي تستلزم حضور وسيط بشري الممارسات التالية كالورشات؛ تدريب المستفيدين وتكوينهم؛ الإرشاد والتوجيه؛ المحاضرات والندوات وحلقات البحث والمناقشة الفن الثقافة، أما الوساطة الغير مباشر فهي تلك الممارسات التي لا يتم الاتصال فيها مباشرة بين المنشط والجمهور، وإنما من خلال واجهة تكون مادية أو غير مادية، عن طريق إقامة المعارض؛ دليل الرواد؛ البرامج الثقافية كالندوات النشاطات التظاهرات الثقافية والعلمية، مواقع الويب (Rathle, 2019, p25).

هناك علاقة قوية بين ممارسات الوساطة المباشرة والتي تتطلب حضور المنشط، وممارسات الوساطة الغير مباشرة التي تعتمد على وسيط مادي، أو وسيط غير مادي يعتمد على البيئة الرقمية، تتمثل في التكامل بين هذه الممارسات لخدمة أهداف واحدة، ترتبط ب "دمقرطة الوصول إلى دار الثقافة، ومحتوياتها، برامجها ونشاطاتها الثقافية، ومحاربة كل أشكال الإقصاء والعزوف التي تعترضها في الفضاء المادي أو الفضاء الرقمي.

2.4 ممارسات الوساطة حسب الجمهور المستهدف:

تأخذ الوساطة في مشروعها طبيعة الفئات المستهدفة، والتي تهدف إلى عرض خدمات، نشاطات وبرامج تتكيف مع احتياجات الجمهور الموجهة إليه، سواء كانوا أطفال شباب أو كبار، مترددين عليها أو عازفين عنها قادرين أو عاجزين (نوي الاحتياجات الخاصة)، مقيمين أو زائرين، وهو ما تؤكد عليه "Anne Raffin"، حيث تقول "لا بد من تحليل ومعرفة الجمهور كل مرة نحاول فيها إدارة مشروع ثقافي"؛ كما أن ممارسات الوساطة الموجهة لفئة الأطفال لا تتطلب نفس الجهود التي تمارس اتجاه فئة الشباب أو الكبار، والتي تتطلب الدقة والتحليل الجيد لمعرفة ميولاتهم ورغباتهم، والتقرب منهم ومرافقتهم بهدف خلق التفاعلي (Raffin, 2004, p187).

3.4 ممارسات الوساطة حسب الفضاء:

ارتبطت ممارسات الوساطة بالتحولات التي شهدتها دور الثقافة ما أعطاها أبعادا أخرى فسواء كان ذلك بالشكل المادي داخل فضاء المؤسسة أو خارج جدرانها، فهي تبقى مهمة بالنسبة لدور الثقافة لمواكبة التغيرات البيئية الرقمية الفضاء اللامادي المستمرة في السلوكيات الاجتماعية والثقافية للأفراد والجماعات. يتم ممارسة الوساطة

داخل فضاء دار الثقافة في أماكن مختلفة، سواء داخل المبنى أو خارجه في حديقة دار الثقافة والتي تسمح بالترويج وتوعية الرواد بأهمية الأنشطة المقدمة في حياتهم الفردية والعامّة، فالتوجه إلى الجمهور يساعد على إخراجهم من التوقع في بيئة بعيدة عن الحياة العامّة، وتوعيتهم بأن هذه الأماكن فهي ملك لهم من أجل ممارسة حقوقهم (Cosmina, 2014, p108). أما الوساطة الرقمية فكانت نتيجة لتأثر فضاءات المعرفة بالعالم الرقمي، هذا الفضاء الذي أصبح يشكل جزءاً لا يتجزأ من حياة الأفراد، ارتبط بممارساتهم في الحياة اليومية عن طريق توظيف مجموعة من الأدوات (أجهزة الحاسوب الهواتف الذكية، مسجلات الموسيقى الرقمية، ألعاب الفيديو ...)، والتي أصبحت تتطلب مهارات جديدة للمنشط للإلمام بكيفية التعلم في العصر الرقمي، تماشياً مع المهام الأساسية لدور الثقافة والتي حدتها اليونسكو في "إتاحة المعلومات، محو الأمية، التعليم والثقافة"، وهو ما يؤكد "Silver Mercier" على أن الوساطة الرقمية تعمل على تجسيد هذه المهام من خلال:

- المساهمة في التعليم المستمر؛

- المساهمة في التحسيس بالفنون والترفيه؛

- المساهمة في المعلومات والمواطنة؛

- المساهمة في التنمية البشرية.

كما تأخذ الوساطة الرقمية عدة أشكال ترتبط بالتطورات التي يشهدها الويب

والتي يمكن تحديدها في الممارسات التالية:

- استخدام الويب (1.0): تبنى هذه التقنية على علاقة متعددة، وهذا يعني موقع

أنترنات واحد لعدد كبير من المستخدمين، حيث يسمح بعرض المحتوى لغرض

التصفح، دون إمكانية التعليق عليها أو تعديلها أو تصنيف محتواها، ومن بين

استخدامات دور الثقافة لمفهوم الوساطة على هذا المستوى كالبوابات؛ موقع الرسمي

لدار الثقافة، الصفحة الرسمية على مواقع التواصل الاجتماعي، البريد الإلكتروني.

- استخدام الويب (2.0): تبنى هذه التقنية علاقاتها على أساس متعدد، وهو شكل

أكثر تطوراً لممارسات الوساطة في دور الثقافة الذي يركز على خلق تفاعلات

إنسانية والتشارك في إنتاج المحتوى، بحيث يتحول فيه مصدر المعلومات إلى مصنع

للمعلومات التفاعلية، ومن بين ممارسات الوساطة الرقمية في هذا المستوى: عرض

أعمال وورشات النوادي على مواقع التواصل الاجتماعي؛ التعليق على الأنشطة

وتقديم المقترحات؛ كاستخدام التويتر **Twitter** لعرض آخر المستجدات والخبرات

والمعارف والأحداث، خدمة **RSS**، استخدام خصائص الفيسبوك **Facebook** (الصورة الفيديو، النص) للترويج لبرامجها، وعرض نشاطاتها ؛ إنشاء المدونات (Guillot, 2016, p88).

4.4 ممارسات الوساطة حسب الزمن:

يمكن أن ترتبط ممارسات الوساطة الثقافية بـ "المناسبات" أو تكون بشكل "مستمر"، فمعظم الأعمال الثقافية تعبر عن أحداث ثقافية اجتماعية تاريخية (المعارض، العروض، المحاضرات، الندوات...)، وهذا النوع من الوساطة هو الأكثر بروزا من خلال البرامج الثقافية التي تحددها السياسات الثقافية لهذه المؤسسات والتي تخصص لها الميزانية المكان، الزمن (Lafortune, 2012, p65). أما النوع الثاني تأخذ شكلا أكثر استمرارية يرتبط بالممارسات في الحياة اليومية لهذه المؤسسات، إذا كان العمل الثقافي يركز على ممارسات الوساطة الثقافية المناسبة، والتي ترتبط ببرمجة الأحداث المتفق عليها، بهدف الوصول إلى نتائج أكثر شمولية، فإن الوساطة الثقافية في الحياة اليومية تعتمد على المبادرات، فهي تعطي الفرصة لجميع المستخدمين لإشباع رغباتهم، وإيجاد ما يبحثون عنه، والمساهمة بذلك في الحياة الثقافية والاجتماعية. كما يجدر بنا الإشارة إلى ضرورة اعتماد هذين النوعين للوساطة الثقافية داخل دار الثقافة، فهما متكاملان، إذ تعمل ممارسات الوساطة في الحياة اليومية على تعزيز هذه الأحداث الثقافية وترسيخها، فهي وسيلة فعالة للتواصل، وخلق الرغبة لدى المستفيدين في الحضور (Damon, 2016, p80).

5. خاتمة:

يلقى مفهوم الوساطة اهتمام العديد من المفكرين والباحثين في شتى المجالات جعلته يتعرض إلى الاختلافات المعرفية، يكتسي على إثرها المفهوم نوعا من الغموض والتعقيد لا يمكن فهمه إلا في سياقه، وهو ما حاولنا التعرض إليه من خلال هذا البحث الذي يركز أساسا على استخدام المفهوم في دور الثقافة، حيث يطرح اليوم كـ "براديجم" جديد بين المهنيين في عملهم، خاصة عند الحديث عن دور الثقافة، وهذا راجع إلى طبيعة التحولات التي تعرفها هذه المؤسسات وانفتاحها على المفاهيم الحديثة؛ وعليه يمكن إرجاع توظيف المفهوم في دور الثقافة إلى قيام فكر جديد يبنى على تصور دور الثقافة كفضاء عمومي من جهة، والذي يعطيها الشرعية لتبني جميع أشكال الوساطة ومن جهة أخرى اعتماد المخططين للسياسات الثقافية المعتمدة داخل الدول في عمل دور الثقافة ضرورة مراعاة مبادئ حقوق الإنسان ومقاربة تنمية

القدرات البشرية، حيث تروج هذه السياسات الثقافية لمفهوم "دمقرطة الثقافة"، ما يجعلها بحاجة إلى تكيف المفهوم وتبني ممارسات جديدة بالاعتماد على سياسة العروض البعيدة والتنوع في النشاطات والتفكير في الأسباب التي تحول بين المحتوى الثقافي والجمهور وتضعف علاقتها.

5. قائمة المراجع:

- حسن عبد الحميد، احمد رشوان، (2006)، دراسة في علم الاجتماع الثقافي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.
- الرشدان، علي محمود، (2019)، الوساطة لحل النزاعات المدنية، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت.
- عبد الغاني، حميد، (2002)، سوسيولوجيا الثقافة: المفاهيم والإشكاليات من الحداثة إلى العولمة، بيت النهضة للنشر، بيروت.
- عبد الفتاح السيد البتانوني، خيرى، (2012)، الوساطة كوسيلة بديلة لفض النزاعات المدنية والتجارية، دار النهضة العربية، القاهرة.
- Boimare, S, (2001), Diminuer la peur d'apprendre: Le role de la mediation culturelle. International Journal of Early Childhood, 33(1), 50-56.
- Caillet, E, (1994), L'ambiguïté de la médiation culturelle : entre savoir et presence, Publics Et Musées, 6(1), 53-73.
- Caune, Jean, (2000), Médiation culturelle une construction du lien social, Les enjeux de l'information et de la communication, GRESEC université Grenoble Alpes, V04, p 02.
- Caune, Jean, (2012), La médiation culturelle: le sens des mots et l'essence des pratiques, Puq, Québec Canada.
- Cosimi, R, (2017), La Médiation culturelle : cinquième roue du carrosse ?, Critique D'art. Actualité Internationale De La Littérature Critique Sur L'art Contemporain.
- Cosmina, Ghebaur, (2014), « C'est pas pour nous normalement »: La médiation culturelle et les non-publics, Les politiques du praticable: Scénographies publiques et chorégraphies politiques, V42, P108.
- Damon-Guillot, A., & Damon, C, (2016), les livres-disques de musiques du monde à destination du jeune public: quels outils pour quelle médiation ?, Cahiers d'ethnomusicologie, V29, P80.

- Davallon, Jean, (2002), La médiation : la communication en procès ? ,médiation et information.
- Dufrêne, B., & Gellereau, M, (2004), La médiation culturelle, Hermès, n° 38(1), 199.
- Guillot-Damon, A., & Damon, C, (2016), Les livres-disques de musiques du monde à destination du jeune public: Quels outils pour quelle médiation ?, Cahiers d'ethnomusicologie, V29, P88.
- Hennion, Antoine, (1993), La Passion musicale : Une sociologie de la médiation, Métailié, Paris.
- Lafortune, J.-M., & Caune, J, (2012), enjeux et limites de la médiation culturelle, La médiation culturelle: Le sens des mots et l'essence des pratiques, Presses de l'Université du Québec, P 65.
- Lamizet, Bernard, (1999), La médiation culturelle, l'harmattan, Paris.
- Raffin, A. (2004). Orientations bibliographiques : Les médiations de l'art contemporain. Culture & Musées, 3(1), 186–188.
- Raibaud, Y, (2007), Genre et loisirs des jeunes, Empan, n° 65(1), 67–73.
- Rathle, J, (2019), Les associations culturelles : état des lieux et typologie, Culture Chiffres, n°2(2), 1.
- Tavel, A, (2013), Code de la Médiation et du Médiateur Professionnel: Recueil des textes officiels et professionnels français et européens sur la médiation, 2ème Ed, Médiateurs Editeurs.